# الصلح مع الله

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثالثة ٢٠٠٠ م ١٤٢٠ هـ

الناشر : المكتب المصرى الحديث

البريد الإلكتروني : almaktabalmasry@hotmail.com

القاهرة : ٢ شارع شريف عمارة اللواء ت : ٣٩٣٤١٢٧

الأسكندرية : ٧ شارع نوبار المنشية ت : ٤٨٤٦٦٠٢

المطابع : طريق مصر اسكندرية الزراعي ك ١٠ ت : ٧٤ / ٤٤١٠٧٠

عبد الحميد كشك

# الصلح مع الله

« وتوبوا الى الله جميعـــا ايهـــا
المؤمنون لعلكم تفلحون » .
صدق الله العظيم

المكتب المصرى الحديث

# مقـــدمة

الحمد لله رب العـــالمين، وأشـــهد أن لا إلـــه إلا الله ولـــى الصالحين وأشهد أن سيدنا ونبينا وعظيمنا وحبيبنا محمدا رسول الله خاتم الأنبياء والمرسلين.

أما بعد..

فهذا كتاب اشتاقت النفس إلى أن تخط سطوره وهى فى حال من الوجد إلى ما عند الله فى جناته راجية ربها أن يهيىء لـــها من الأعمال ما تصل به إلى الفـــردوس ونعيمـــه ســـائلة الله أن يباعد بينها وبين أسباب الخذلان التى تزدى إلى النار وعذابـــها. فاللهم إنا نسألك فعـــل الخـــيرات، وتـــرك المنكـــرات وحـــب المساكين، وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضنا إليك غير فـــاتنين ولا مفتونين نعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنـــة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيخ الدجال.

نقول وبالله التوفيق...

# التوبة والزهد

نبدأ كتابنا هذا بالكلام عن التوبة، وهـــى خطــوة ذات أثــر عظيم فى حسن اللقاء والرجاء ومن ثم فإن الله تعالى أمرنا بـــها فقال (وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ).

وقال : (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري مــن تحتـها الأنهار يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهــم يسـعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنــك على كل شيء قدير).

وقال جل شأنه: (إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فــأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيمــا* ومــن تــاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا).

وفى كلام رسول الله ﷺ ما ينشرح له الصدر بنور الأمل فــى رحمة الله الذى وسعت رحمته كل شىء فإليك يـــا أخـــى هــذه الدرر النبوية.

عن أبى موسى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النـــهار ويبســط يــده

بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها) (رواه مسلم والنسائى).

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه).

(رواه مسلم).

وعن صفوان بن عسال رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: (إن من قبل المغرب لبابا مسيرة عرضه أربعون عاما أو سبعون سنة فتحه الله عز وجل للتوبة يوم خلق السماوات والأرض فلا يغلقه حتى تطلع الشمس منه).

(رواه الترمذى والبيهقى).

وفى رواية له وصححها أيضا قال زر يعنى -ابن حبيس- فما برح -يعنى صفوان- يحدثنى حتى حدثنى أن الله جعل بالمغرب بابا عرضه مسيرة سبعين عاما للتوبة لا يغلق مالم تطلع الشمس من قبله.

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (للجنة ثمانية أبواب سبعة مغلقة وباب مفتوح للتوبة حتى تطلع الشمس من نحوه).

(رواه أبو يعلى والطبرانى)

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول اللهﷺ قال: (لـــو أخطأتم حتى تبلغ السماء ثم تبتم لتاب الله عليكم).

(رواه ابن ماجة)

وعن جابر رضى الله عنه قال سمعت رسول اللهﷺ يقـــول: (من سعادة المرء أن يطول عمره ويرزقه الله الإنابة).

(رواه الحاكم)

وعن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول اللهﷺ: (مــن سره أن يسبق الدائب المجتهد فليكف عن الذنوب).

(رواه أبو يعلى)

وروى عن جابر رضى الله عنه قال: قـــال رســـول اللهﷺ: (المؤمن واه راقع فسعيد من هلك على رقعه).

(رواه البزار والطبرانى فى الصغير والأوسط)

وقال معنى واه مذنب وراقع يعنى تائب مستغفر وعن أبـــى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبـــىﷺ أنـــه قـــال: (مثـــل المؤمن ومثل الإيمان كمثل الفرس آخيته يجول ثم يرجـــع إلـــى آخيته وأن المؤمن يسهو ثم يرجع فـــأطعموا طعـــامكم الأتقيـــاء وأولوا معروفكم المؤمنين) (رواه ابن حبان).

والمقصود بالآخية بمد الهمزة وكسر الخاء المعجمة بعدهـــا ياء مثناه تحت مشددة هى حبل يدفن فى الأرض مثنيـــا ويـــبرز

منه كالعروة تشد إليها الدابة وقيل هو عود يعرض فى الحـــائط تشد إليه الدابة.

وعن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: (كـــل ابـــن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون).

(رواه الترمذى وابن ماجه والحاكم)

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنـــه ســمع رســول الله ﷺ يقول: إن عبدا أصاب ذنبا فقال يارب إنى أذنبت ذنبـــا فـــاغفره فقال له ربه علم عبدى أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به فغفر لـــه ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنبا آخر وربما قال ثم أذنب ذنبـــا آخر فقال: يارب إنى أذنبت ذنبا آخر فاغفره لى قال ربه: علـــم عبدى أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به فغفر له ثم مكث ما شـــاء الله ثم أصاب ذنبا آخر وربما قال ثم أذنب ذنبا آخر فقال: يـــارب إنى أذنبت ذنبا فاغفره لى فقال ربه علم عبدى أن له ربا يغفـــر الذنب ويأخذ به فقال ربه غفرت لعبدى فليعمل ما شاء.

(رواه البخارى ومسلم)

قوله: فليعمل ما شاء معناه والله أعلم أنه مادام كلمـــا أذنـــب ذنبا استغفر وتاب منه ولم يعد إليه بدليل قوله ثم أصـــاب ذنبـــا آخر فليفعل إذا كان هذا دأبه ماشاء لأنه كلما أذنب كانت توبتـــه واستغفاره كفارة لذنبه فلا يضره لا أنه يذنب الذنـــب فيســـتغفر منه بلسانه من غير إقلاع ثم يعاوده فإن هذه توبة الكذابين.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن المؤمن إذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء فى قلبه فإن تاب ونزع واستغفر صقل منها وإن زاد زادت حتى يغلف بها قلبه فذلك الران الذى ذكره الله فى كتابه كلا بل ران على قلوبهم) رواه الترمذى وصححه النسائي وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه والحاكم. واللفظ له من طريقين قال فى أحدهما صحيح على شرط مسلم ولفظ ابن حبان وغيره: إن العبد إذا أخطأ خطيئة ينكت فى قلبه نكتة فإن هو نزع واستغفر وتاب صقلت فإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قالت قريش للنبى ﷺ: ادع لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهبا فإن أصبح ذهبا اتبعناك. فدعا ربه فأتاه جبريل عليه السلام فقال: إن ربك يقرئك السلام ويقول لك إن شئت أصبح لهم الصفا ذهبا فمن كفر منهم عذبته عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين وإن شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة قال بل باب التوبة والرحمة. (رواه الطبرانى)

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: (إن الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر): رواه ابن ماجة والترمذى ومعنى يغرغر بغينين معجمتين الأولى مفتوحة والثانية مكسورة وبراء مكررة ومعناه مالم تبلغ روحه حلقومه فيكون بمنزلة الشىء الذى يتغرغر به.

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال: قلت يا رسـول الله أوصني. قال: (عليك بتقوى الله ما استطعت واذكر الله عند كـل حجر وشجر وماعملت من سوء فاحدث له توبة السـر بالسـر والعلانية بالعلانية). (رواه الطبرانى والبيهقى)

وروى عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسـول اللهﷺ إذا تاب العبد من ذنوبه أنسى الله عز وجل حفظه ذنوبه وأنسى ذلك جوارحه ومعالمه من الأرض حتى يلقى الله يوم القيامة وليـس عليه شاهد من الله بذنب. (رواه الأصبهانى)

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قـال رسـول اللهﷺ النادم ينتظر من الله الرحمة والمعجب ينتظر المقـت واعلمـوا عباد الله أن كل عامل سيقدم على عمله ولا يخرج مـن الدنيـا حتى يرى حسن عمله وسوء عمله وإنما الأعمـال بخواتيمـها والليل والنهار مطيتان فأحسنوا السـير عليـهما إلـى الأخـرة واحذروا التسويف فإن الموت يأتى بغتة ولا يغترن أحدكم بحلـم الله عز وجل فإن الجنة والنار أقرب إلى أحدكم من شراك نعلـه.

ثم قرأ رسول اللهﷺ قوله تعالي: (**فمن يعمـل مثقـال ذرة خـيرا يره* ومن يعمل مثقال ذرة شرا يـره**).

(رواه الأصبهانى)

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبى ﷺ قـال: (التائب من الذنب كمن لا ذنب له).

(رواه ابن ماجه والطبرانى، ورواه ابن أبى الدنيا والبيهقى)

والمستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزيء بربه وعن حميد الطويل قال: قلت لأنس بن مالك رضى الله عنه أقال النبىﷺ الندم توبة قال نعم. (رواه ابن حبان)

وعن عائشة رضى الله عنها عن رسول اللهﷺ قال: (ما علم الله من عبد ندامة على ذنب إلا غفر له قبل أن يستغفر منه).

(رواه الحاكم)

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ: ليس أحد أحب إليه المدح من الله من أجل ذلك مدح نفسه. وليس أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش وليس أحد أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك أنزل الكتاب وأرسل الرسل. (رواه مسلم)

والمقصود بالعذر: التوبة والندم يقول الله تعالى: **(وهو الذي يقبل التوبة عن عباده)**.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: والذى نفسى بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم. (رواه مسلم وغيره)

وعن عمران بن الحصين رضى الله عنه أن امرأة من جهينة أتت رسول اللهﷺ وهى حبلى من الزنا، فقالت: يا رسول الله أصبت حدا فأقمه على فدعا نبى اللهﷺ وليها فقال: أحسن إليها فإذا وضعت فأتى بها ففعل فأمر بها نبى اللهﷺ فشدت

عليها ثيابها ثم أمر بها فرجمت ثم صلى عليها فقال لـــه عمــر: تصلى عليها يا رسول الله وقد زنت؟ قال: لقد تابت توبـــة لــو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم وهل وجدت أفضـــل من أن جادت بنفسها لله عز وجل. (رواه مسلم)

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال ســمعت رســول اللهﷺ يقول: كان الكفل من بنى إسرائيل لا يتورع من ذنب عمله فأتتــه امرأة فأعطاها ستين دينارا على أن يطأها فلما قعد منــها مقعـد الرجل من امرأته أرعدت وبكت، فقال: مــا يبكيــك أكرهتــك؟ قالت لا، ولكنه عمل ما عملته قط وما حملنى عليه إلا الحاجـــة فقال: تفعلين أنت هذا ومافعلته قط اذهبى فهى لك وقــل: لا والله لا أعصى الله بعدها أبدا فمات من ليلته فأصبح مكتوبـــا علـــى بابه: إن الله قد غفر للكفل. (رواه الترمذى وحسنه)

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال: كانت قريتان إحداهمـــا صالحة والأخرى ظالمة فخرج رجل من القرية الظالمـــة يريــد القرية الصالحة فأتاه الموت حيث شاء الله فاختصم فيــه الملــك والشيطان فقال الشيطان والله ما عصانى قط فقال الملك: إنه قــد خرج يريد التوبة فقضى بينهما أن ينظـــر إلـــى ايــهما أقــرب فوجدوه أقرب إلى القرية الصالحة بشبر فغفر له.

قال معمر وسمعت من يقول: قرب الله إليه القرية الصالحة.

(رواه الطبرانى بإسناد صحيح)

وعن أبى عبد ربه أنه سمع معاوية بن أبى سفيان على المنبر يحدث أنه سمع رسول اللهﷺ يقول إن رجلا أسرف على نفسه فلقى رجلا فقال إن الآخر قتل تسعة وتسعين نفسا كلهم ظلما فهل تجد لى من توبة؟ فقال: إن حدثتك أن الله لا يتوب على من تاب كذبتك ههنا قوم يتعبدون فأتهم تعبد الله معهم فتوجه إليهم فمات على ذلك فاجتمعت ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فبعث الله إليهم ملكا فقال قيسوا ما بين المكانين فأيهم كان أقرب فهو منهم فوجدوه أقرب إلى دير التوابين بأنملة فغفر له. (رواه الطبرانى)

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول اللهﷺ قال: قال الله عز وجل: (أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه حيث يذكرنى والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة ومن تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا ومن تقرب إلى ذراعا تقربت إليه باعا وإذا أقبل إلى يمشى أقبلت إليه أهرول).

(رواه مسلم واللفظ له والبخارى بنحوه)

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله بأرض فلاة. (رواه البخارى ومسلم)

وفى رواية لمسلم: لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت عنه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع فى ظلها قد

أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنــــده فــأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدى وأنـــــا ربــك. أخطأ من شدة الفرح.

وعن الحرث بن سويد عن عبد الله رضى الله عنـــه قــال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لله أفرح بتوبة عبده المؤمن من رجـل نزل فى أرض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامـــه وشــرابه فوضع رأسه فنام فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبـــها حتـــى إذا اشتد عليه الحر والعطش أو ما شاء الله تعالى: قال: ارجع إلـــى مكانى الذى كنت فيه فأنام حتى أموت فوضع رأسه على سـاعده ليموت فاستيقظ فإذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه فالله أشـــد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته.

(رواه البخارى ومسلم)

وعن أبى ذر رضى الله عنه قال: قـــال رســول الله ﷺ مــن أحسن فيما بقى غفر له ما مضى ومن أساء فيما بقى أخذ بمـــا مضى وما بقى. (رواه الطبرانى بإسناد حسن)

أى من تاب إلى الله وأخلص فى حياتـــه الآتيـــة المســتقبلة سامحه الله وعفا عنه ما عمله فى الأزمان السابقة تفضلا ومـــن أخطأ فى مستقبله حاسبه الله على الأعمال الماضية والمســـتقبلة ففيه الترغيب فى التوبة رجاء ستر الله لما عمله سابقا.

وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال: قال رســـول الله ﷺ إن مثل الذى يعمل السيئات ثم يعمل الحسنات كمثل رجل كــانت

عليه درع ضيقة قد خنقته ثم عمل حسنة فانفكت حلقة ثم عمل حسنة أخرى فانفكت أخرى حتى تخرج إلى الأرض.

(رواه أحمد والطبرانى)

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن معاذ بن جبل أراد سفرا فقال يا رسول أوصنى قال اعبد الله ولا تشرك به شيئا قال يا رسول الله زدنى قال: إذا أسأت فاحسن وليحسن خلقك.

(رواه ابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال صحيح الإسناد)

ورواه الطبرانى بإسناد ورواته ثقات: عن أبى سلمة عن معاذ قال: قلت يا رسول الله أوصنى، قال اعبد الله كأنك تراه واعدد نفسك فى الموتى واذكر الله عند كل حجر وعند كل شجر وإذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة السر بالسر والعلانية بالعلانية.

ورواه البيهقى فى كتاب الزهد من رواية إسماعيل بن رافع المدنى عن ثعلبة ابن صالح عن سليمان بن موسى عن معاذ قال: أخذ بيدى رسول الله ﷺ فمشى قليلا ثم قال يا معاذ أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء العهد وأداء الأمانة وترك الخيانة ورحم اليتيم وحفظ الجوار وكظم الغيظ ولين الكلام وبذل السلام ولزوم الإمام والتفقه فى القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وقصر الأمل وحسن العمل وأنهاك أن تشتم مسلما أو تصدق كاذبا أو تكذب صادقا أو تعصى إماما

عادلا وأن تفسد فى الأرض يا معاذ اذكر الله عند كـــل شــجر وحجر وأحدث لكل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية.

وعن أبى ذر ومعاذ بن جبل رضى الله عنهما عــن رســول الله ﷺ قال: اتق الله حيثما كنت واتبع الســيئة الحســنة تمحــها وخالق الناس بخلق حسن. (رواه الترمذى)

وروى أحمد بإسناد جيد عن أبى ذر ومعاذ بن جبل رضـــى الله عنهما أن النبى ﷺ قال: (ستة أيام، ثم اعقل يا أباذر ما يقــال لك بعد فلما كان اليوم السابع قال: أوصيك بتقوى الله فــى ســر أمرك وعلانيته وإذا أسأت فأحسن ولاتسألن أحدا شيئا وإن سـقط سوطك ولا تقبض أمانة).

ينصح رسول الله ﷺ بأربعة:

١-التقوى.

٢-إتقان العمل والتوبة عند الإساءة ثم الإحسان.

٣-الإعتماد على النفس.

٤-عدم قبول الودائع إذا آنس الإنسان عدم حفظها.

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال: قلت يـــا رســول الله أوصنى قال: إذا عملت سيئة فأتبعها حسنة تمحها. قال: قلت يــا رسول الله أمن الحسنات لا إلـــه إلا الله؟ قــال: هــى أفضــل الحسنات. (رواه أحمد)

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: أن رجلا أصاب من امرأة قبلة وفى روايه: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله إنى عالجت امرأة فى أقصى المدينة وإنى أصبت منها مادون أن أمسها فأنا هذا فاقض فى ما شئت فقال له عمر: لقد سترك الله لو سترت نفسك. قال: ولم يرد عليه النبى ﷺ شيئا، فقال الرجل فانطلق فأتبعه النبى ﷺ رجلا فدعاه فتلا عليه هذه الآية: (**وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين**) فقال رجل من القوم: يانبى الله هذا له خاصة؟ قال: بل للناس كافة.

(رواه مسلم)

وعن أبى طويل شطب الممدود أنه أتى النبى ﷺ فقال: أرأيت من عمل الذنوب كلها ولم يترك منها شيئا وهو فى ذلك لم يترك حاجة ولا داجة إلا أتاها فهل لذلك من توبة؟ قال: فهل أسلمت؟ قال: أما أنا فاشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله قال: تفعل الخيرات وتترك السيئات فيجعلهن الله لك خيرات كلهن قال: وغدراتى وفجراتى؟ قال: نعم قال: الله أكبر، فما زال يكبروا حتى توارى.

(رواه البزار والطبرى واللفظ له وإسناده جيد قوى)

وبعد فنقول وبالله التوفيق ما حقيقة التوبة:

قال الغزالى التوبة عبارة عن معنى ينتظم ويلتئم من ثلاثة أمور علم وحال وفعل. أما العلم فهو معرفة عظم ضرر الذنوب

وكونها حجابا بين العبد وبين كل محبوب، فـــإذا عـــرف ذلـــك معرفة محققة بيقين غالب على قلبه ثار من هذه المعرفـــة تـــألم للقلب بسبب فوات المحبوب، فإن القلب مـــهما شـــعر بفـــوات محبوبه تألم فإن كان فواته بفعله تأسف علـــى الفعـــل المفـــوت فيسمى تألمه بسبب فعله المفوت لمحبوبه ندما إذا غلب هذا الألـــم على القلب واستولى انبعث من هذا الألم فى القلب حالة أخـــرى تسمى إرادة وقصدا إلى فعل لـــــه تعلـــق بالحـــال وبالمـــاضى وبالاستقبال، أما تعلقه بالحال فبالترك للذنب الذى كان ملابســـا له، وأما بالاستقبال فبالعزم على ترك الذنب المفوت للمحبـــوب إلى آخر العمر، وأما بالماضى فيتلافى مافات بالجبر والقضـــاء إن كان قابلا للجبر، فالعلم هو الأول، وهو مطلع هذه الخـــيرات وأعنى بهذا العلم الإيمان واليقين فـــإن الإيمـــان عبـــارة عـــن التصديق بأن الذنوب سموم مهلكة، واليقين عبارة عن تأكد هـــذا التصديق وانتفاء الشك عنه واستيلائه على القلب فيثمر نور هـــذا الإيمان مهما أشرق على القلب نار الندم فيتألم بها القلب بحيـــث يبصر بإشراق نور الإيمان أنه صار محجوبا عن محبوبه كمـــن يشرق عليه نور الشمس، وقد كان فى ظلمة فيسطع النور عليـــه بانقشاع سحاب أو انحصار حجاب فرأى محبوبه وقـــد أشـــرف على الهلاك فتشتعل نيران الحب فى قلبه وتنبعث تلك النـــيران بإرادته للانتهاض للتدارك، فالعلم والندم والقصد المتعلق بـــالترك فى الحال والاستقبال والتلافى للماضى ثلاثة معان مرتبـــة فـــى الحصول فيطلق اسم التوبة على مجموعها.

وكثيرا ما يطلق اسم التوبة على معنى الندم وحده ويجعل العلم كالسابق والمقدمة والترك كالثمرة والتابع المتأخر، وبهذا الاعتبار قال عليه الصلاة والسلام: (الندم توبة) إذ لا يخلو الندم من علم أوجبة وأثمره، وعن عزم يتبعه ويتلوه، قيل في حد التوبة إنه ذوبان الحشا لما سبق من الخطأ أو نار في القلب تلتهب وصدع في الكبد لا ينشعب أو خلع لباس الجفاء ونشر بساط الوفاء وقال سهل بن عبد الله التسترى: التوبة تبديل الحركات المذمومة بالحركات المحمودة ولا يتم ذلك إلا بالخلوة والصمت وأكل الحلال.

واعلم أن وجوب التوبة ظاهر بقوله ﷺ من حديث مسلم (يا أيها الناس توبوا إلى الله) وقول الله تعالى (**وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون**).

وقوله تعالى: (**يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا**) والنصوح الخالص لله تعالى الخالى من الشوائب، ويدل على فضل التوبة قول الله تعالى (**إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين**).

قال الغزالى: (وهو واضح بنور البصيرة عند من انفتحت بصيرته، وشرح الله بنور الإيمان صدره حتى اقتدر على أن يسعى بنوره الذى بين يديه فى ظلمات الجهل مستغنيا عن قائد يقوده فى كل خطوة فالسالك إما أعمى لا يستغنى عن القائد فى

خطوة وإما بصير يهدى إلى أول الطريق ثـم يـهتدى بنفسـه، وكذلك الناس فى طريق الدين إما قاصر يفتقر إلى سماع نـص من كتاب الله وسنة رسوله أو سعيد يتنبه بأدنى إشـارة بسـلوك طريق معوصة وقطع عقبات متعبة ويشـرق فـى قلبـه نـور الإيمان. ثم قال معنى التوبة الرجوع عن الطريق المبعد عـن الله المقرب إلى الشيطان، ولا يتصور إلا مـن عـاقل ولا تكمـل غريزة العقل إلا بعد كمال غريزة الشـهوة والغضـب وسـائر الصفات المذمومة التى هى وسائل الشيطان إلى إغواء الإنسـان والشهوات جنود الشيطان، والعقول جنـود الملائكـة، وتكمـل الشهوات فى الصبا والشباب فإن كمل العقل وقـوى كـان أول شغله قمع جنود الشيطان بكسر الشـهوات ومفارقـة العـادات الملازمة للإنسان كما حكى الله تعالى عـن إبليـس (لأحتنكـن ذريته إلا قليلا).

وقد قيل:

فلا تحسبن هندا لها العذر وحدها

سجية نفس كل غانيـة هنـد

فالتوبة فرض عين فى حق كل شخص وكل بشر لا يخلو مـن معصية بجوارحه.

وفى بيان ما تعظم به الصغائر من الذنوب:

أولا: الإصرار والمواظبة.

ثانيا: أن يستصغر الذنب.

ثالثا: أن يفرح بالصغيرة ويتبجح بها.

رابعا: وأن يتهاون بستر الله عليه وحلمه عنه وإهماله إياه كما قال تعالى: (ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير).

خامسا: أن يذكر الذنب بعد إتيانه، أو يأتيه فى مشهد غيره.

سادسا: أن يكون المذنب عالما يقتدى.

**شروط التوبة:**

(أ) الندم: أى توجع القلب عند شعوره بفوات المحبوب، وعلامته طول الحسرة وانسكاب الدمع وطول البكاء والفكر.

(ب) أن يكون بطلان النزوع بسبب قوة اليقين وصدق المجاهدة السابقة إذا بلغ مبلغا قمع هيجان الشهوة حتى تأدبت بأدب الشرع.

## أقسام العبادة
## فى دوام التوبة

**أولا:** أن يتوب العاصى ويستقيم على التوبة إلى آخر عمره فيتدارك ما فرط من أمره، ولا يحدث نفسه بالعودة إلى ذنوبه وتسمى التوبة النصوح وتسمى هذه النفس بالنفس الساكنة المطمئنة الراضية.

**ثانيا:** تائب سلك طريق الإستقامة فى أمهات الطاعات وترك الفواحش كلها إلا أنه ليس ينفك عن الذنوب يقترفها لاعن عمد وتجريد وقصد، ولكن يبتلى بها ثم يندم وتسمى النفس اللوامة قال تعالى (الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم إن ربك واسع المغفرة).

**ثالثا:** أن يتوب ويستمر على الإستقامة مدة ثم تغلبه الشهوة فى بعض الذنوب فيقدم عليها عن صدق وقصد شهوة لعجزه عن قهر الشهوة إلا أنه مع ذلك مواظب على الطاعات وترك جملة من الذنوب مع القدرة، والشهوة إنما قهرته هذه الشهوة الواحدة أو الشهوتان، هو يود لو أقدره الله تعالى على قمعها وكفاه شرها وعند الفراغ يتندم وتسمى النفس المسولة وصاحبها من الذين قال الله فيهم: (وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم).

**رابعا:** أن يتوب ويجرى مدة على الإستقامة، ثم يعـود إلـى مقارفة الذنب أو الذنوب من غير أن يحدث نفسه بالتوبة، ومـن غير أن يتأسف على فعله، بل ينهمك الغافل فى اتباع شـهواته فهذا من جملة المصرين، وهذه النفس هـى الأمـارة بالسـوء الفرارة من الخير، ويخاف على هذا سوء الخاتمة، وامـره فـى مشيئة الله، نسأل الله حسن الخاتمة.

والحسنات المكفرة للسيئات إما بالقلب بالتضرع إلى الله تعـالى فى سؤال المغفرة والعفو ويتذلل تذلل العبد الآبق ويضمر الخـير للمسلمين والعزم على الطاعات، وإما باللسان بالإعتراف بـالظلم والإستغفار فيقول: رب ظلمت نفسى وعملت سـوءا فـاغفرلى ذنوبى ويكثر من ضروب الإستغفار وإما بالجوارح فبالطاعـات والصدقات وأنواع العبادات. وفى الآثار مايدل على أن الذنـب إذا اتبع بثمانية أعمال كان العفو عنه مرجوا:

أربعة من أعماق القلب، وهى التوبة أو العزم على التوبـة، وحب الإقلاع عن الذنب، وتخوف العقاب عليه، ورجاء المغفـرة له وأربعة من أعمال الجوارح: وهى أن تصلى عقـب الذنـب ركعتين ثم تستغفر الله تعالى بعدهما سبعين مرة وتقول: سـبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة ثم تتصدق بصدقة ثم تصوم يومـا. وفى بعض الآثار تسبغ الوضـوء وتدخـل المسـجد وتصلـى ركعتين. وفى بعض الأخبار تصل أربع ركعات.

وكان بعض الصحابة يقول: كان لنا أمانان ذهب أحدهما وهـو كون الرسول فينا وبقى الإستغفار معنا، فإن ذهب هلكنـا، قـال

الله تعالى: (**وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون**).

**فوائد التوبة كما قال ﷺ:**

أ – يتجلى الله تعالى على التائب برضوانه وإحسانه (يبسط يده).

ب– تفتح له أبواب رحماته فتدركه نعمه (باب مفتوح).

ج – تدل توبته على سعادته وانعامه وقبوله.

د – يعد من خير الناس التواب.

هـ– يسعه حلم الله وعفوه (غفرت لعبدى).

و – ويجلى قلبه بالتوبة ويزيل الصدأ (الران).

ز – ويدخل فى الصالحين الذين زهدوا فى الذهب واختاروا التوبة (الصفا ذهبا).

ح – يغير التائب صحائف أعماله بأحسن منها بتشييد الصالحات والمحامد (فأحدث توبة).

ط – يأمل التائب أن ينال من خيرات الله وكراماته (النادم ينتظر).

ى – ربما تصادفه العناية بالسعادة بسبب التوبة فيدخل الجنة (الكفل).

ك - قد تكون العزيمة مسببة لغفران الكبائر (قاتل مائة).

ل - يحظى بفرح ربه به (لله أفرح).

م - يقبل الله تعالى على التائب أضعاف أضعاف إقبال عبده عليه بطاعته (أهرول).

ن - قد تسبب التوبة غفران الماضى والإحسان فى المستقبل (من أحسن فيما بقى).

س - يوسع التائب على نفسه ويزيل الضيق ويذهب الهم ويبعد الكروب (عمل حسنة فانفكت حلقة).

ع - يعمل التائب بسنة رسول الله ﷺ وبوصيته (إذا أسأت فأحسن).

وقد سمى علماء الصوفية النفس بحسب قربها إلى ربها بالطاعة، وإخلاص العبادة والإستقامة.

أ - المطمئنة.

ب-اللوامة.

ج-المسولة.

د -الأمارة بالسوء.

أيها الأخ الكريم جدد معى التوبة لله واعزم على طاعة الله والعمل بكتاب الله وسنة رسول الله رجاء أن يقبلنا الله الذى غمرنا بنعمائه وحبانا بأفضاله الجدير بعبادته، والإخلاص له

والخوف منه كما قال تعالى: (**أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أمن يمشي سويا على صراط مستقيم**)، (**قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون* قل هو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون**).

ما أجمل ما قاله الإمام الغزالى فى التوبة (إن التوبة عن الذنوب بالرجوع إلى ستار العيوب وعلام الغيوب مبدأ طريق السالكين ورأس مال، الفائزين وأول أقدام المريدين ومفتاح استقامة المائلين، ومطلع الاصطفاء والإجتباء للمقربين، ولأبينا آدم عليه الصلاة والسلام وعلى سائر الأنبياء أجمعين.

وأما أجدر بالأولاد الاقتداء بالآباء والأجداد فلا غرو إن أذنب الآدمى وأجترم، فهى شنشنة يعرفها من أخزم ومن أشبه آباه فما ظلم. ولكن الأب إذا جبر بعد ما كسر وعمر بعد أن هدم فليكن النزوع إليه فى كلا طرف النفى والإثبات والوجود والعدم، ولقد قرع آدم سن الندم وتندم على ماسبق منه وتقدم فمن اتخذه قدوة فى الذنب دون التوبة فقد ذلت به القدم بل التجرد لمحض الخير دأب الملائكة المقربين والتجرد للشر دون التلافى سجية الشياطين والرجوع إلى الخير بعد الوقوع فى الشر ضرورة الآدميين فالمتجرد للخير ملك مقرب عند الملك الديان والمتجرد للشر شيطان والمتلافى للشر بالرجوع إلى الخير بالحقيقة إنسان فقد ازدوج فى طينة الإنسان شائبتان واصطحب فيه سجيتان وكل عبد مصحح نسبه إما إلى الملك وإما إلى آدم أو إلى

الشيطان فالتائب قد أقام البرهان على صحة نسبه إلى آدم بملازمة حد الإنسان والمصر على الطغيان مسجل على نفسه بنسب الشيطان فإما تصحيح النسب إلى الملائكة بالتجرد لمحض الخير فخارج عن حيز الإمكان فإن الشر معجون مع الخير فى طينة آدم عجنا محكما لا يخلصه إلا إحدى النارين نار الدم أو نار جهنم فالإحراق بالنار ضرورى فى تخليص جوهر الإنسان من خبائث الشيطان وإليك الآن اختيار أهون النارين والمبادرة إلى أخف الشرين قبل أن ينطوى بساط الإختيار ويساق إلى دار الاضطرار إما إلى الجنة وإما إلى النار وإذا كانت التوبة موقعها من الدين هذا الموقع وجب تقديمها فى صدر ربع المنجيات بشرح حقيقتها وشروطها وسببها وعلاماتها وثمراتها والآفات المانعة منها والأدوية الميسرة لها ويتضح ذلك بذكر أربعة أركان الركن الأول فى نفس التوبة وبيان حدها وحقيقتها وإنها واجبة على الفور وعلى جميع الأشخاص وفى جميع الأحوال وأنها إذا صحت كانت مقبولة.

الركن الثانى فيما عنه التوبة وهو الذنوب وبيان انقسامها إلى صغائر وكبائر وما يتعلق بالعباد وما يتعلق بحق الله تعالى وبيان كيفية توزيع الدرجات والدركات على الحسنات والسيئات وبيان الأسباب التى بها تعظم الصغائر.

والركن الثالث: فى بيان شروط التوبة ودوامها وكيفية تدارك مامضى من المظالم وكيفية تكفير الذنوب وبيان أقسام التائبين فى دوام التوبة.

الركن الرابع: فى السبب الباعث على التوبة وكيفية العلاج فى حل عقدة الإصرار من المذنبين ويتم المقصود بهذه الأركان الأربعة إن شاء الله عز وجل.

جاء فى كتاب تنوير القلوب فى معاملة علام الغيوب مانصه عن التوبة (هى أصل كل مقام وحال وأولى المقامات وهى بمثابة الأرض للبناء فمن لا توبة له لاحال له ولا مقام كما أن من لا أرض له لا بناء له وهى الرجوع من الأوصاف المذمومة إلى الأوصاف المحمودة ويقال من رجع عن المخالفات خوفا من عذاب الله فهو تائب، ومن رجع حياء من نظر الله فهو منيب.

ومن رجع تعظيما لجلال الله تعالى فهو أواب. فعلى العبد المبادرة بالتوبة وتحقيق حدودها ليتخلص من سخط الله تعالى ومقته ونار جهنم والنكال والأغلال ولينجو من هلاك الأبد ويظفر السعادة السرمد والقرب من باب الله تعالى ورحمته وينال رضوانه وجنته وليوفق للطاعة ولتقبل منه. فإن أكثر العبادات نفل والتوبة فرض ولا يقبل النفل قبل الفرض، وهى واجبة بالآيات والإخبار قال تعالى: (**وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون**).

وقال تعالى: (**يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا**) والتوبة النصوح أن يتوب العبد ظاهرا وباطنا عازما على عدم العود ومن تاب ظاهرا فقط فهو كمثل مزبلة بسط عليها ديباج والناس ينظرون إليها ويتعجبون منها فإذا كشف عنها أعرضوا عنها. فكذلك الخلق ينظرون إلى أهل الطاعة الظاهرة فإذا كشف الغطاء يوم القيامة (**يوم تبلى السرائر**) أعرضت الملائكة عنهم. ولذا قال: (إن الله لاينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم). (رواه مسلم)

قوله تعالى: (**إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين**). فإذا تقربوا إلى الله تعالى بما يحبه أحبهم وإذا أحبهم غار عليهم أن يتطلع أحد على نقص فيهم فيستر عليهم ومن كرم الله تعالى على عباده أنهم إذا فعلوا معصية ثم تابوا ثم فعلوها ثم تابوا قبل الله توبتهم قيل لما أنظر الله إبليس قال وعزتك لأخرج من قلب ابن آدم مادام فيه الروح فقال سبحانه وعزتى لا أمنعهم التوبة مادامت أرواحهم فى أجسادهم قال إبليس لأغوينهم أجمعين. فقال تعالى: (**لأكفرن عنهم سيئاتهم**) قال إبليس لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن إيمانهم وعن شمائلهم.

فلما قال ذلك رقت قلوب الملائكة على البشر فأوحى الله تعالى إليهم أنه بقى للإنسان جهة الفوق والتحت فإذا رفع يديه بالدعاء على سبيل الخضوع أو وضع وجهه على الأرض على سبيل الخشوع غفرت له الذنوب ولا أبالى.

قال ﷺ: (إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها). (رواه مسلم والنسائى)

فلا يقبل حينئذ إيمان الكافر ولا توبة المؤمن وهو معنى قوله تعالى (يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا).

وروى الترمذى وقال حديث حسن صحيح والبيهقي واللفظ له مرفوعا: (إن من قبل المغرب لباب مسيرة عرضه أربعون عاما أو سبعون سنة فتحه الله عزوجل للتوبة يوم خلق السماوات والأرض فلا يغلقه حتى تطلع الشمس منه).

وروى الشيخان مرفوعا: (إن عبدا أصاب ذنبا فقال: رب أذنبت فاغفره فقال ربه: علم عبدى أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدى ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنبا فقال رب أذنبت آخر فاغفره لى قال ربه علم عبدى أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدى فليعمل ما شاء).

قال الحافظ بن حجر فى الفتح ومعنى قوله: (فليعمل ما شاء أنه مادام يذنب ويستغفر ويتوب فأنا أغفر له وتكون توبته واستغفاره كفارة لذنبه لا أنه يذنب الذنب فيستغفر منه بلسانه من غير إقلاع ثم يعود إلى مثله فإن هذه توبة الكاذبين) وقال إن الله تعالى يقبل توبة العبد مالم يغرغر رواه أحمد والترمذى يعنى أن توبته مقبولة مالم يبلغ الروح الحلقوم، إذ عند ذلك

يعاين ما يصير إليه من رحمة أو هول وشدة فلا تنفعه حينئذ توبته ولا إيمان الكافر لأن من شرطها العزم على ترك الذنب وعدم العود إليه وإنما يتحقق ذلك إذا أمكن التائب وهذا لا يمكنه وقال (لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم لتاب عليكم).

(رواه ابن ماجة وإسناده حسن)

وقال: (التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له).

(رواه الطبرانى فى الكبير والبيهقى فى الشعب)

وقالﷺ (إن الحسنات يذهبن السيئات كما يذهب الماء الوسخ)

(رواه أبو نعيم فى الحلية)

وفى بعض الآثار: (ما من صوت أحب إلى الله من صوت عبد مذنب تائب يقول يارب فيقول الرب: لبيك يا عبدى سل ما تريد أنت عندى كبعض ملائكتى وأنا عن يمينك وعن شمالك وفوقك وقريب من ضمير قلبك اشهدوا يا ملائكتى أنى قد غفرت له).

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول اللهﷺ قال: (إذا تاب العبد تاب الله عليه وأنسى الحفظة ما كانوا كتبوا من مساوىء عمله وأنسى جوارحه ما عملت من الخطايا وأنسى مكانه من الأرض ومقامه من السماء ليجىء يوم القيامة وليس شىء من الخلق يشهد عليه) (رواه الأصبهانى)

وعن ابن عباس رضى الله عنهما: أن ناسا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا فاكثروا وزنوا فاكثروا فأتوا النبى ﷺ فقالوا: إن الذى تدعوا إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة فنزل

(والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما* يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا* إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما).

ونزل (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم).

(رواه الشيخان وغيرهما)

وعن مكحول: أن إبراهيم عليه السلام لما كشف له عن ملكوت السماوات والأرض أبصر عبدا يزنى فدعا عليه فأهلكه الله تعالى، ثم رأى عبدا يسرق فدعا عليه فأهلكه.الله تعالى ثم رأى عبدا على معصية أخرى فأراد أن يدعو عليه فقال الله تعالى: يا إبراهيم دع عنك عبادى فإن عبدى بين ثلاث خصال: بين أن يتوب فأتوب عليه وبين أن استخرج له ذرية تعبدني وبين أن يغلب عليه الشقاء فمن ورائه جهنم.

وشروط التوبة: الندم على الذنوب الماضية والعزم على أن لا يعود ورد المظالم إلى أربابها ثم ورثتهم ثم التصدق عنهم واستحلال الخصوم ثم الإحسان إليهم إن أمكن ويجب قضاء الفوائت من الفرائض.

وينبغى بعد التوبة تربية النفس فى طاعة كتربيتها فى معصية وإذاقتها مرارة الطاعة كإذاقتها حلاوة المعصية وترك خلان

السوء وإصلاح المأكل والمشرب والملبس ولا يتخلف عن التوبة بخوف وقوعه في الذنب فإن العبد إذا تاب قبل الله توبته ولا ينبغي اليأس من رحمة الله تعالى (**إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون**) بل ينبغي أن يتوب إلى الله تعالى في كل وقت ولا يكون مصرا على الذنب فإن الراجع عن ذنبه لا يكون مصرا وإن عاد كما روى عن أبي بكر رضي الله عنه عن النبيﷺ أنه قال: (ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة). (رواه ابو داود والترمذي)

فلا يليق من العبد تركها مخافة الوقوع في ذنب آخر فإنه ظن أدخله الشيطان في قلبه ليسوفها أي يؤخرها فينبغي أن لا يؤخرها فإن الأجل مكتوم لا يدري متى يفجؤه الموت أو المرض المفضي إليه.

ويجتهدفي تحقيقها كل الإجتهاد إذ راس مال المؤمن الإيمان وقد يزول الإيمان بفقد التوبة وشؤم التمادي في الذنوب فيبقى في نار جهنم خالدا مخلدا وقد ورد في الأثر أن أكثر صياح أهل النار من التسويف ولا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليمز

رب هب لى المتاب حتى اتوب
واعف عنى فقد عرتنى الذنــوب
وعلـــى ديــن أحمــد فامتنـــى
واحى قلبى فى يــوم تحيا القلــوب
يامــداو السقــام داو سقامـــى
يــا إلهى إنـــى عليـك حسيـــــب
واشف قلبى من الذى قد عــلاه
إن سقمى قــد حار فيــه الطبيـب
يا مداو العبــاد هــب لى بقرب
حاش ان أرجــوك ثــم أخيـــــب
وأقل عثرتى وجــد لى بقــرب
إن دائـــى بالقــرب منــك يطيـب
تعسـت ليلـة عصيتـك فيهــا
قد تقضــت واثمهــا لـــى نصيـب
ما احتيالى وقــد عصيتك جهلا
كيــف لا أستحى وأنــت الرقيـب

قال الله تعالى فى بعض كتبه المنزلة: (وعزتى وجلالى لا يبكى عبد من خشيتى إلا أبدلته ضحكا فى نور قدسى قل للبكائين من خشيتى أبشروا فإنكم أول من تنزل عليهم الرحمة إذا نزلت، قل للمذنبين من عبادى يجالسوا البكائين من خشيتى لعلى أن أصيبهم برحمتى إذا رحمت البكائين).

وقال ﷺ (ليس شيء أحب إلى الله تعالى من قطرتين قطرة دمع من خشية الله وقطرة دم تهراق فى سبيل الله).

(رواه الترمذى والضياء).

واعلم يا أخى -وفقنى الله وإياك- أنه لا فائدة فى الإستغفار والقلب لاه مطموس مسود من كثرة الذنوب والغفلة عن التوبة فإنه لو صار يستغفر آناء الليل وأطراف النهار مع هذه الحالة لا يفيده شيء وربما كان سببا للوبال والدمار. ولذا قالت رابعة العدوية: استغفارنا يحتاج إلى استغفار.

**وعلامة قبول التوبة تظهر فى ثمانية أشياء:**

**الأول**: أن يخاف فى امر لسانه فيمنعه من الكذب والغيبة وفضول الكلام ويجعله مشغولا بذكر الله وتلاوة القرآن.

**الثانى**:أن يخاف فى امر بطنه فلا يدخل بطنه إلا حلالا.

**الثالث:** أن يخاف فى أمر بصره فلا ينظر إلى الحرام ولا إلى الدنيا بعين الرغبة وإنما يكون نظره على وجه العبرة.

**الرابع:** أن يخاف فى أمر يده فلا يمدها إلى الحرام وإنما يمدها إلى ما فيه الطاعة.

**الخامس:** أن يخاف فى أمر قدميه فلا يمشى بهما فى معصية الله تعالى وإنما يمشى بهما فى طاعة الله تعالى.

**السادس:** أن يخاف فى أمر قلبه فيخرج منه العداوة والبغضاء والحسد ويدخل فيه النصيحة والشفقة على المسلمين.

**السابع:** أن يخاف فى أمر سمعه فلا يسمع إلا الحق.

**الثامن:** أن يخاف فى أمر طاعته فيجعلها خالصة لوجه الله تعالى ويجتنب الرياء والنفاق.

وفى الآثار أن الله تعالى يقول: (أيها العبد إذا تبت ثم نقضت فلا تستحى أن ترجع إلينا ثانيا، وإذا نقضت ثانيا فلا يمنعك الحياء أن تأتينا ثالثا، وإذا نقضت ثالثا فارجع إلينا رابعا، فأنا الجواد الذى لا أبخل، وأنا الحليم الذى لا أعجل، وأنا الذى أستر على العاصى، وأقبل التائبين وأعفو عن الخاطئين، وأرحم النادمين وأنا أرحم الراحمين. من ذا الذى أتى إلى بابنا فرددناه، من ذا الذى لجأ إلى جنابنا فطردناه، من ذا الذى تاب إلينا وما قبلناه، من ذا الذى طلب منا وما أعطيناه، من ذا الذى استقال من ذنبه فما غفرناه، أنا الذى أغفر الذنوب، وأستر العيوب، وأغيث المكروب، وارحم الباكى الندوب، وأنا علام الغيوب. يا

عبدى قف على بابى أكتبك من أحبائى تمتع فى الأسحار بخطابى أجعلك من طلابى، لذ بخضرة جنابى اسقك من لذيذ شرابى، أهجر الأغيار والزم الافتقار وناد فى الاسحار بلسان الذلة والإنكسار).

وعن أنس رضى الله عنه قال سمعت النبى ﷺ يقول: قال الله تعالى: (يا ابن آدم إنك مادعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك يا ابن آدم لو آتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة).

(رواه الترمذى)

وهذا الحديث يدل على سعة كرم الله تعالى ورحمته وجوده. وقد روى الأصبهانى بسنده عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ (النادم ينتظر من الله الرحمة والمعجب ينتظر المقت واعلموا عباد الله أن كل عامل سيقدم على عمله ولا يخرج من الدنيا حتى يرى حسن عمله وسوء عمله، وإنما الأعمال بخواتيمها والليل والنهار مطيتان فأحسنوا السير عليهما إلى الآخرة واحذروا التسويف، فإن الموت يأتى بغتة ولا يغترن أحدكم بحلم الله عز وجل فإن الجنة والنار أقرب إلى أحدكم من شراك نعله) ثم قرأ رسول الله ﷺ (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره* ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره).

حكى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه مر وقتا من الأوقات فى سكك المدينة فاستقبله شاب وهو حامل تحت ثيابه شيئا فقال له عمر: أيها الشاب ما الذى تحمل تحت ثيابك-وكان خمرا- فاستحى الشاب أن يقول خمر وقال فى سره إلهى إن لم تخجلنى عند عمر ولم تفضحنى وسترتنى عنده فلا أشرب الخمر أبدا وقال: يا أمير المؤمنين الذى أحمله خل. فقال عمر: أرنى حتى أراه فكشفها بين يديه فرآها عمر وقد صارت خلا نقيا.

فاعتبروا أيها الإخوان إن مخلوقا تاب من خوف عمر وهو أيضا مخلوق فبدل الله تعالى خمره بالخل فلو تاب العاصى المفلس المذنب عن الأعمال الفاسدة خوفا من الله تعالى فبدل الله خمر سيئاته بخل الطاعات لا يكون عجبا من لطفه وكرمه لقوله تعالى: (**فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما**).

وهكذا عشنا فى تنوير القلوب لحظات طيبة -أسأل الله أن ينور بها قلوبنا- كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه، يقول: قرأت القرآن كله فما وجدت أرجى من قوله تعالى: (**قل كل يعمل على شاكلته**) شاكلة العبد المعصية وشاكلة الرب المغفرة والرحمة.

وقال عمر رضى الله عنه: قرأت القرآن كله فما وجدت أرجى من قوله تعالى (غافر الذنب وقابل التوب).

وقال عثمان رضى الله عنه: قرأت القرآن كله فما وجدت أرجى من قوله تعالى (نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم).

وقال على كرم الله وجهه: قرأت القرآن كله فما وجدت أرجى من قوله تعالى(قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم).

يا من له علم الغيوب ووصفه ستر العيوب وكل ذاك سماح أخفيت ذنب العبد عن كل الورى كرما فليس عليه ثم جناح منك التكرم والتفضل والرضا أنت الإله المنعم الفتاح. حدث أيام موسى عليه السلام أن أجدبت الأرض من قلة المطر فوقف موسى يصلى بهم صلاة الإستسقاء ولم تنزل السماء مطرها وأوحى الله إلى موسى أن فيكم عبدا عاصيا، وقال موسى لبني إسرائيل: من كان منكم عاصيا لله فليعتزلنا حتى لا يأخذنا الله بشؤمه فلم يخرج منهم أحد وقام موسى فصلى مرة ثانية وأنزل الله الماء من السماء مدرارا فقال موسى لربه.ما أحلمك نزل الماء ولم يخرج العاصى من بيننا، فقال له الله يا موسى لقد تاب بيني وبينه توبة قبلتها منه، قال موسى يارب أتدلني من

هو؟ قال له الله:وكيف ذلك يا موسى سترته وهو عاص فكيف أفضحه بعد ما تاب وأناب.

سبحانك ربى.

فعلنا خطايانا وسترك مسبل

وليس لشىء أنت ساتره كشف

إذا نحن لم نخطىء وتعفو تكرما

فمن غيرنا يهفو وغيرك من يعفو

**الطريق إلى الله:**

أخا الإسلام اشتاقت النفس بعدما اندمجت فى الفيوضات الربانية والنفحات الإلهية والاتحافات السماوية اشتاقت إلى معرفة الطريق الموصل إلى الله وما أعظمه من طريق إنه طريق قد غمرته الأضواء الكاشفة الهادئة.. المستبصرة المؤدية إلى الجنة ونعيمها مع ضمان السعادة فى الدارين. **(وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون)**.

وهل هناك أجل وأعظم من معرفة الطريق إلى الله إنه ذو معالم واضحة المسالك بينة المناهج إنه التوبة التى تغسل النفس من أرجاسها وأدناسها، ولتستمع أخى المسلم لما يقوله بعض أهل المعرفة فى مقام التوبة.

قال الإمام النووى رحمه الله تعالى: التوبة واجبة من كل ذنب فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمى فلها ثلاثة شروط أحدهما: أن يقلع عن المعصية والثانى أن يندم على فعلها والثالث أن يعزم أن لا يعود إليها أبدا.

فإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته وإن كانت التوبة تتعلق بآدمى فشروطها أربعة هذه الثلاثة وأن يبرأ من حق صاحبها فإن كانت مالا أو نحوه رده إليه وإن كان (أى حق الآدمى) حد قذف ونحوه مكنه منه أو طلب عفوه وإن كانت غيبة استحله منها ويجب أن يتوب من جميع الذنوب.

ومن شروط التوبة ترك السوء وهجر الأصحاب الفسقة الذين يحببون للمرء المعصية وينفرونه من الطاعة ثم الالتحاق بصحبة الصادقين الأخيار، كى تكون صحبتهم سياجا يردعه عن العودة إلى حياة المعاصى والمخالفات.

والمسلم لا ينظر إلى صغر الذنب بل ينظر إلى عظمة الرب اقتداء بأصحاب رسول اللهﷺ فقد كان أنس بن مالك رضى الله عنه يقول: (إنكم لتعملون أعمالا هى أدق فى أعينكم من الشعر إن كنا نعدها على عهد رسول اللهﷺ من الموبقات. قال أبو عبد الله: يعنى بذلك المهلكات) ولا يقف المسلم عند التوبة من المعصية بل يتوب من كل شىء يشغل قلبه عن الله تعالى.

يقول عبد الله التميمى رضى الله عنه شتان بين تائب وتائب.. فتائب يتوب من الذنوب والسيئات وتائب يتوب من الزلل والغفلات وتائب يتوب من رؤية الحسنات والطاعات.

فمن طهر قلبه من الآثام والأدناس وأشرقت عليه أنوار الإيناس لم يخف عليه ما يدخل قلبه من خفى الآفات ما يعكر صفوه حين يهم بالزلات فيتوب عند ذلك حياء من الله الذى يراه.

فتوبه لا تتبعها تقوى باطلة، وتقوى لاتظهر بها استقامة مدخولة، واستقامة لاورع فيها غير تامة، وورع زهدا قاصر وزهد لايشيد توكلا يابس، وتوكل لاتظهر ثمرته بالإنقطاع إلى الله عن الكل واللجأ إليه صورة لا حقيقة لها فتظهر صحة التوبة عند اعتراض المحرم وكمال التقوى حيث لا مطلع إلا الله، ووجود الإستقامة بالتحفظ على إقامة الورد فى غير ابتداع ووجود الورع فى مواطن الشهوة عند الاشتباه، فإن ترك فكذلك وإلا فليس هنالك.

ومن المقامات القلبية المحاسبة وهى تهيئة الوازع الدينى فى النفس، وتربيتها على تنمية اللوم الباطنى الذى يجردها من كل ما يقف أمامها عقبة فى طريق الصفاء والمحبة والإيثار والإخلاص يقول النبى ﷺ (الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والفاجر من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى).

ومن حاسب نفسه لا يترك لها سبيلا إلى الإشتغال بالباطل إذ هو يشغلها بالطاعات ويلومها على التقصير مع الله تعالى خشية منه فكيف تجد سبيلا إلى اللهو والبطالة؟

قال السيد أحمد الرفاعي رحمه الله تعالى: ((من الخشية تكون المحاسبة ومن المحاسبة تكون المراقبة، ومن المراقبة يكون دوام الشغل بالله تعالى)).

روى أن رسول اللهﷺ خرج يوما من بيته يطوى بطنه على الجوع فالتقى بصاحبيه أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فعلم منهما أن أمرهما كأمره وأنهما لا يجدان قوت يومهما والتقى بهم رجل من الأنصار لم تخدعه بشاشتهم فعلم أمرهم فاستضافهم فلما وصلوا إلى منزله وجدوا تمرا وماء باردا وظلا وارفا فلما تبلغوا بتمرات وشربوا من الماء، قال صلوات الله وسلامه عليه: (هذا من النعيم الذى تسألون عنه).

أليس فى هذه اللفتة الكريمة من الرسول ﷺ نفحة ترمى إلى طبع النفس بطابع الوازع القوى الأحساس المرهف والشعور الدقيق والتبعة الكبرى والمسئولية الضخمة فى كل تصرف تهدف إليه النفس بين حين وآخر؟

وإن المحاسبة لتثمر الشعور بالمسئولية تجاه الله تعالى، وتجاه خلقه، وتجاه النفس المكلفة بالتكاليف الشرعية من أوامر ونواه فبالمحاسبة يفهم الإنسان أنه ما وجد عبثا وإنه لا بد راجع إلى الله كما أخبر رسول اللهﷺ (مامنكم من أحد إلا سيكلمه الله،

ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه، فلا يرى إلا ماقدم وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ماقدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه. فاتقوا النار لو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة).

ومن المقامات القلبية أيضا الخوف.

قال حجة الإسلام الإمام الغزالى رحمه الله تعالى:

(أعلم أن حقيقة الخوف هو تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه فى المستقبل وقد يكون ذلك من جريان ذنوب وقد يكون الخوف من الله تعالى بمعرفة صفاته التى توجب الخوف لامحالة، وهذا أكمل وأتم لأن من عرف الله خافه بالضرورة ولهذا قال الله تعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء).

وقد دعا الله تعالى عباده إلى الخوف منه وحده فقال (وإياي فارهبون) ومدح الله المؤمنين ووصفهم بالخوف فقال (ويخافون ربهم من فوقهم) وجعل الله الخوف من شروط كمال الإيمان فقال (وخافون إن كنتم مؤمنين).

ووعد الله من خاف مقامه جنتين: جنة المعارف فى الدنيا وجنة الزخارف فى الآخرة فقال: (ولمن خاف مقام ربه جنتان) وجعل الله الجنة مأوى من خاف مقام ربه (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى* فإن الجنة هي المأوى).

قال الشيخ أحمد زروق رحمه الله تعالى فى قواعده (من بواعث العمل وجود الخشية وهى تعظيم يصحبه مهابة، والخوف هو انزعاج القلب من انتقام الرب).

وفى هذا المقام يصف سيدى عبد الوهاب الشعرانى رضى الله عنه السيدة رابعة العدوية بأنها كانت كثيرة البكاء والحزن، وكانت إذا سمعت ذكر النار غشى عليها زمانا وكان موضع سجودها كهيئة الحوض الصغير من دموعها وكأن النار ماخلقت إلا لأجلها، وسر ذلك الخوف إنما هو الاعتقاد بأن كل بلاء دون النار يسير وإن كل خطب دون البعد عن الله تعالى هين.

وليس الخائف الذى يبكى ويمسح عينيه إنما الخائف من يترك ما يخاف أن يعذب عليه.

قال أبو سفيان الدرانى رحمه الله تعالى (ما فارق الخوف قلبا إلاخرب) وليس الخائفون بمرتبة واحدة بل هم على مراتب فقال: خوف العامة من العقاب وفوات الثواب. وخوف الخاصة من العتاب وفوات الاقتراب، وخوف خاصة الخاصة من الاحتجاب بعروض سوء الأدب.

ومن المقامات القلبية أيضا الرجاء. والرجاء كما عرفه الشيخ أحمد زروق هو السكون لفضله تعالى بشواهد العمل فى الجميع وإلا كان اغترارا.

وقد حثنا الله تعالى على الرجاء ونهانا عن القنوط من رحمته فقال سبحانه (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم).

وقال تعالى مبشرا بسعة رحمته (ورحمتي وسعت كل شيء).

وقال تعالى فى وصف الذين يرجون رحمته (إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله).

وجاء الحث على رجاء رحمة الله فى كثير من الأحاديث الشريفة منها: ماروى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:والذى نفسى بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم.

وعن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: (يجىء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال يغفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى).

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول يدنى المؤمن يوم القيامة من ربه حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه، فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟

فيقول رب أعرف قال: فإنى سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فيعطى صحيفة حسناته).

يقول الله تبارك وتعالى: (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا).

فعلى العبد إن كان فى ريعان شبابه مقارفا للذنوب مطيعا لنفسه الشهوانية أن يغلب جانب الخوف على الرجاء أما إذا كان فى نهاية عمره فعليه ان يغلب الرجاء كما قال الله تعالى فى الحديث القدسى: (أنا عند ظن عبدى بى).

وكما قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الذى يرويه جابر بن عبد الله رضى الله عنه (لايموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل).

وإن كان العبد مقبلا على ربه سالكا طريق قربه فعليه أن يجمع بين مقامى الخوف والرجاء لا يغلب الخوف على الرجاء حتى يقنط من رحمة الله تعالى وعفوه ولا يغلب الرجاء على الخوف حتى يسترسل فى مهاوى المعاصى والسيئات بل يطير بهما محلقا فى أجواء صافية فلا يزال فى قرب ودنو من الحضرة الإلهية قد حقق صفة هؤلاء الذين وصفهم الله بقوله (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا).

خوفا من ناره وطمعا فى جنته.. خوفا من بعده وطمعا فى قربه.. خوفا من قطيعته وطمعا فى وصاله.

وليس الراجون بمرتبة واحدة بل هم على مراتب ذكرها ابن عجيبة رحمه الله تعالى إذ قال: رجاء العامة حسن المآب بحصول الثواب ورجاء الخاصة حصول الرضوان والاقتراب، ورجاء خاصة الخاصة التمكين من الشهود وزيادة الترقى فى أسرار الملك المعبود.

واعلم يا أخا الإسلام أنه لابد للطالب سلوك سبيل النجاة والوصول إلى الله تعالى من أن يتحقق بصفات ثلاث: الصدق والإخلاص والصبر لأن جميع صفات الكمال لا يتحلى بها الإنسان إلا إذا كان متصفا بهذه الصفات الثلاث وكذلك لاتتم الأعمال إلا بها فإذا فارقت الأعمال فسدت ولم تنل القبول.

ولما كان الباعث على العمل الصالح والترقى فى مدارج الكمال هو الصدق نبتدىء بالكلام عليه أولا.

ذكر حجة الإسلام الإمام الغزالى رحمه الله تعالى للصدق معان ستة فقال (اعلم أن لفظ الصدق يستعمل فى ستة معان: صدق فى القول، وصدق فى النية والإرادة وصدق فى العزم وصدق فى الوفاء بالعزم، وصدق فى العمل، وصدق فى تحقيق مقامات الدين كلها فمن اتصف بالصدق فى جميع ذلك فهو صديق.

١-صدق اللسان يكون فى الأخبار وفيه يدخل الوفاء بالوعد والحلف فيه وقيل: فى المعاريض مندوحة عن الكذب.

٢-صدق فى النية والإرادة ويرجع ذلك إلى الإخلاص وهو أن لا يكون له باعث فى الحركات والسكنات إلا الله تعالى.

٣-صدق فى العزم على العمل لله تعالى.

٤-صدق فى الوفاء بالعزم بتذليل العقبات.

٥-صدق فى الأعمال حتى لاتدل أعماله الظاهرة على أمر فى باطنه لايتصف به.

٦-الصدق فى مقامات الدين كالخوف والرجاء والتعظيم والزهد والرضا والتوكل والحب.

وقد ذكر القاضى زكريا الأنصارى للصدق محلات ثلاث فقال: (الصدق هو الحكم المطابق للواقع ومحله اللسان والقلب والأفعال وكل منها يحتاج إلى وصف يخصه فهو فى اللسان الإخبار عن الشيء على ماهو عليه. وفى القلب: العزم الأكيد وفى الأفعال: إيقاعها على وجه النشاط والحب.

وسببه: الوثوق بخبر المتصف.

وثمرته: مدح الله والخلق للمتصف به.

ومفهوم الصدق عند عوام المسلمين قاصر على صدق اللسان ولكن هو فى الحقيقة صدق اللسان وصدق القلب وصدق الأفعال والأحوال.

قال العلامة ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى: إن صدق التأهب للقاء الله هو مفتاح جميع الأعمال الصالحة والأحوال

الإيمانية ومقامات السالكين إلى الله ومنازل السائرين إليه من اليقظة والتوبة والإنابة والمحبة والرجاء والخشية والتفويض والتسليم وسائر أعمال القلوب والجوارح.

فمفتاح ذلك كله صدق التأهب والاستعداد للقاء الله والمفتاح بيد الفتاح العليم لا إله غيره ولا رب سواه.

فإذا تحلى السالك بالصدق استطاع أن يسير بخطى سريعة نحو مراتب الإيمان العالية إذ هو القوة الرافعة والمحركة وهو الصفة اللازمة لكل مقام من مقامات السلوك إلى الله تعالى.

فاول مراحل السير هو صدق العبد فى إنابته إلى ربه بالتوبة النصوح التى هى أساس الأعمال الصالحة واول درجات الكمال.

والصدق فى تهذيب االنفس الأمارة يحقق النجاح الكبير فى التخلص من أمراضها وشهواتها ويطهر القلب من الخبائث حتى ينتهى إلى الإيمان الذوقى الذى وصفه رسول الله ﷺ بقوله (ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا) والصدق فى محاربة الشيطان والتخلص من وساوسه يجعل المؤمن فى نجاة من كيده وأمان من شره كما يجعل الشيطان فى يأس وقنوط من إضلاله وغوايته.

والصدق فى إخراج حب الدنيا من القلب يحمل الإنسان على المجاهدة المستمرة بالصدق والإيثار والتعاون الخيرى، حتى يتخلص من حبها وينجو من سيطرتها على قلبه.

والصدق فى طلب العلم تخلصا من الجهل وتصحيحا للعمل يحمل الإنسان على الاستقامة والمثابرة، وتحمل المشاق وسهر الليالى كى ينال منه أوفر نصيب وأكبر قسط وما نبغ العلماء إلا لصدقهم وإخلاصهم وصبرهم.

والصدق فى العمل هو ثمرة العلم وغايته إذ يجعل العبد فى ارتقاء دائم ويجعل علمه سببا فى كماله ولابد من إخلاص فى ذلك وإلا قد يدخل على السائر بعض العلل الموقفة له عن مطلوبه من حب الشهرة والسمعة والالتفات إليها.

فالاخلاص فى الصدق يزيل هذه الشوائب من طريق الغاية المنشودة وهى رضاء الله تعالى ومعرفته ومحبته.

قال أبو القاسم القشيرى رحمه الله تعالى (الصدق عماد الأمر وبه تمامه وفيه نظامه وهو تالى درجة النبوة).

وقد أمر الله تعالى المؤمنين أن يلازموا أهل الصدق ليستفيدوا من حالهم وينتفعوا من صدقهم فقال:

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين).

ووصف الله تعالى الصادقين بالقلة وأنهم الفئة المختارة من المؤمنين فقال: (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه). وقال معروف الكرخي رحمه الله تعالى إلى قلة الصادقين:

(ما أكثر الصالحين وأقل الصادقين فى الصالحين!).

وقد أخبر الله تعالى أن العبد يوم القيامة يجنى ثمار صدقه ويكون صدقه سبب نفعه ونجاته فقال (هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم).

وقد أوضح الرسول ﷺ أن الصدق يثمر طمأنينة القلب وراحة الفكر بينما يسبب الكذب حالات من القلق والاضطراب والشك وعدم الاستقرار.

فقد روى الحسن بن على رضى الله عنهما أنه قال:

حفظت من رسول الله ﷺ (دع ما يريبك إلى مالا يريبك فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة).

واعلم يا أخا الإسلام

أن من يعمر باطنه بالصدق والإخلاص تجرى حركاته وسكناته على حسب مافى قلبه، فيظهر بالصدق والإخلاص فى أحواله وأقواله وأعماله لأن من أسر سريرة ألبسه الله رداءها.

قال العلامة القرطبى رحمه الله تعالى:

(حق على كل من فهم عن الله تعالى أن يلازم الصدق في الأقوال والإخلاص فى الأعمال والصفاء فى الأحوال فمن كان كذلك لحق بالابرار ووصل إلى رضاء الغفار).

فعليك أيا الأخ المسلم أن تكون صادقا فى أقوالك لأن الكذب من صفات المنافقين.

قال عليه الصلاة والسلام: (آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أئتمن خان).

وكن صادقا فى طلب الوصول إلى الله تعالى فالمقاصد العالية لاتنال بالتشهى لذلك قيل (لاينال الوصول من كان فى قلبه شهوة الوصول) بل يناله بالجد والإجتهاد.

وعمر قلبك بالصدق لتنبعث منه الهمة والنشاط فى سيرك إلى الله تعالى وكن صادقا فى موافقتك لربك أمرا ونهيا، وفى اتباعك لرسولهﷺ حتى تتحقق بالعبودية لله تعالى فهى أمنية السالكين لربهم فى جميع مراتبهم ومقاماتهم.

## تعريف الإخلاص

قال ابو القاسم القشيرى رحمة الله عليه معرفـــا الإخـــلاص (الإخلاص إفراد الحق سبحانه فى الطاعة بالقصد وهو أن يريـد بطاعته التقرب إلى الله تعالى دون شـــىء آخــر مــن تصنــع لمخلوق أو اكتساب محمدة عند الناس أو محبة مدح لمخلـوق أو معنى من المعانى سوى التقرب إلى الله تعالى وقال ويصـــح أن يقال: الإخلاص تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين.

وقال أبو على الدقاق رحمه الله تعالى: (الإخلاص: التوقـــى عن ملاحظة الخلق، فالمخلص لارياء له).

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى:

(ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجــل النــاس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما).

وقال الإمام الجنيد رحمه الله تعالى:

(الإخلاص سر بين الله وبين العبد لا يعلمه ملك فيكتبـــه ولا شيطان فيفسده ولا هوى فيميله).

وقال شيخ الإسلام زكريا الأنصارى رحمه الله تعالى:

(حق المخلص أن لا يرى إخلاصه ولا يسكن إليـــه فمتـــى خالف ذلك لم يكمل إخلاصه بل سماه بعضهم رياء).

## أهمية الإخلاص فى الكتاب والسنة:

لما كان قبول الأعمال موقوفا على وجود الإخلاص فيها أمر الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام بالإخلاص فى عبادته تعليما لهذه الأمة فقال: (قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين).

وقال سبحانه (قل الله أعبد مخلصا له ديني).

وقال عزوجل (فاعبد الله مخلصا له الدين ألا لله الدين الخالص).

كما أمر الله تعالى خلقه أن تكون جميع عباداتهم القولية والفعلية، والمالية خالصة له تعالى بعيدة عن الرياء فقال (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين).

وأوضح الحق أن السبيل إلى لقاء الله تعالى يوم القيامة لقاء رضى وإنعام هو العمل الصالح الخالص لوجه الله السليم من ملاحظة الخلق فقال سبحانه:

(فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا).

وقد سمى الرسول ﷺ الرياء شركا أصغر تارة وسماه شرك السرائر تارة أخرى. وأخبر أن الله تعالى سوف يتبرأ من المرائى يوم القيامة ويحيله إلى الناس الذين أشركهم فى عبادته.

عن أبى أمامة قال: جاء رجل إلــــى رســول اللهﷺ فقــال: (أرأيت رجلا غزا يلتمس الأجر والذكر، ماله؟ فقال ﷺ: لاشـــىء له، فأعادها ثلاث مرات، ويقول رسول اللهﷺ لاشىء له ثم قال: إن الله عز وجل لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا وابتغى بــه وجهه).

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسـول اللهﷺ: (إن الله لا ينظر إلى أجسامكم، ولا إلى صوركم، ولكن ينظــر إلـــى قلوبكم).

وعن شداد بن أوس رضى الله عنه أنه سمع رســـول اللهﷺ يقول: (من صام يرائى فقد أشرك ومن صلى يرائى فقد أشـــرك ومن تصدق يرائى فقد أشرك).

وعن محمود بن لبيد قال:

خرج النبىﷺ فقال: (يا أيها الناس إياكم وشــــرك الســـرائر قالوا يارسول الله وما شرك السرائر؟ قال: يقوم الرجل فيصلـــى فيزين صلاته جاهدا لما يرى من نظر الناس إليه فذلـــك شـــرك السرائر).

وقالﷺ (إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغــر قــالوا وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: الرياء. يقــول الله عــز وجل إذا جزى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تـــراؤون فى الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء).

وعن أبى سعيد بن أبى فضالة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة ليوم لا ريب فيه نادى مناد من أشرك فى عمله لله أحدا فليطلب ثوابه من عنده فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك).

## أقوال العلماء فى أهمية الإخلاص:

قال مكحول رحمه الله تعالى: (ما أخلص عبد أربعين يوما إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه).

وقيل لسهل بن عبد الله التسترى رحمه الله تعالى: أى شىء أشد على النفس قال (الإخلاص لأنه ليس لها فيه نصيب).

وقال أبو سليمان الدارانى رحمه الله تعالى (إذا أخلص العبد انقطعت عنه كثرة الوساوس والرياء).

**مراتب الإخلاص:**

قال ابن عجيبة رحمه الله تعالى:

(الإخلاص على ثلاث درجات: إخلاص العوام والخواص وخواص الخواص).

فإخلاص العوام هو إخراج الخلق من معاملة الحق مع طلب الحظوظ الدنيوية والأخروية كحفظ البدن والمال وسعة الرزق والقصور والحور.

وإخلاص الخواص: طلب الحظوظ الأخروية دون الدنيوية وإخلاص خواص الخواص: إخراج الحظوظ بالكلية فعبادتهم تحقيق العبودية والقيام بوظائف الربوبية محبة وشوقا إلى رؤيته كما قال ابن الفارض:

ليس سؤلى من الجنان نعيما
غير أنى أحبها لأراكا

وقال الآخر:

كلهم يعبدون من خوف نار
ويرون النجاة حظا جزيلا
أو بأن يسكنوا الجنان فيضحوا
فى رياض ويشربوا السلسبيلا
ليس لى فى الجنان والنار رأى
أنا لا أبتغى بحبى بديلا

وقال: والحاصل لا يمكن الخروج من النفس والتخلص من دقائق الرياء من غير شيخ أبدا والله تعالى أعلم.

وأسمى مقاصد المخلصين أن يرتقوا بإخلاصهم إلى رفع الدرجات ويعبدوا الله مبتغين وجهه دون أن يقصدوا ثوابا:

فما مقصودهم جنات عدن
ولا الحور الحسان ولا الخيام
سوى نظر الجليل وذا مناهم
وهذا مقصد القوم الكرام

وقالت رابعة:

ما عبدتك خوفا من نارك ولاطمعا فى جنتك وإنما عبدتك لذاتك. فلو لم يكن ثمة ثواب ولا عقاب ولا جنة ولا نار لما تأخروا عن عبادتهم ولما انثنوا عن طاعاتهم لأنهم يعبدون الله لله ولأن أعمالهم تصدر عن قلب عمره حب الله وحده وطلب قربه ورضوانه بعد أن أدركوا نعمه وآلاءه وذاقوا بره وإحسانه.

وليس معنى هذا أنهم لا يحبون دخول الجنة ولا يرغبون فى البعد عن النار فهم يكرهون النار ويخافونها لأنها مظهر سخط

الله وغضبه ونقمته ويحبون الجنة ويطلبونها لأنها مظهر حب الله ورضاه وقربه. كما قالت آسيه زوجة فرعون: (ربي ابن لي عندك بيتا في الجنة).

فهى طلبت العندية والقرب قبل أن تطلب الجنة طلبت الجوار قبل الديار ولم تكن رغبتها فى الجنة إلا لنوال الحب والقرب والرضا منه تعالى.

وهكذا عندما ترتفع همة العبد وتسمو غاياته يترفع عن ملاحظة لذائذه البدنية ومنافعه الشخصية سواء كانت دنيوية أم أخروية ويبغى فى جميع عباداته الحب والقرب والتحقق بالعبودية الخالصة فعلى قدر همة العبد يكون مطلبه.

قال الإمام السيوطى رحمه الله تعالى:

القيام بالأوامر والنواهى لله وحده لا لجلب ثواب ولا لدفع عقاب وهذا حال من عبد الله لله خلاف من عبد الله للثواب وخوف العقاب فإنما عبد لحظ نفسه وإن كان هو محبا أيضا لكنه فى درجة الأبرار وذلك فى درجة المقربين.

واعلم يا أخا الإسلام:

أن الإخلاص تصفية العمل من العلل والشوائب سواء اكان مصدرها التعلق بالخلق كطلب مدحهم وتعظيمهم والهرب من ذمهم أو كان مصدرها التعلق بالعمل كالاغترار به وطلب العوض عنه.

لذا فإن أهل الهمم العالية أخلصوا دينهم لله وسمعوا نـــداء الله في قلوبهم (ففروا إلى الله) فاستجابوا لهاتف الحق وقال قائلـــهم ملبيا له:

تركت الناس كلهم ورائي وجئت إليك.

## الصـــبر

عرف العلماء الصبر بتعاريف كثيرة وأهمــها مــا قالــه ذو النون المصرى رحمه الله تعالى:

(الصبر هو التباعد عن المخالفات والســكون عنــد تجــرع غصص البلية وإظهار الغنى عند حلول الفقر بساحة المعيشة).

وما ذكره الراغب الاصفهانى رحمه الله تعالى فى مفرداتــه (الصبر حبس النفس على مايقتضيه العقل أو الشـــرع أو عمــا يقتضيان حبسها عنه)

وما ذكره السيد الجرجانى رحمه الله تعــالى فــى تعريفاتــه (الصبر: هو ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله)

ويفهم من تعريف السيد أن الشكوى لله تعالى لاتنافى الصــبر وإنما ينافيه شكوى الله إلى غيره.

كما رأى بعضهم رجلا يشكو إلى آخر فاقة وضرورة فقــال: يا هذا أتشكو (الله) من يرحمك إلى من لا يرحمك ثم أنشد:

وإذا عرتك بليــة فاصبــر لها
صبر الكريــم فإنه بــك أعلــم

وإذا شكوت إلى ابن آدم إنما
تشكو الرحيم إلى الذى لا يرحم

وللصبر تقسيمات منوعة وكلها ترجع إلى هذه الأنواع الثلاثة: صبر على الطاعات وصبر على المعاصى وصبر على المصائب فالصبر على الطاعات هو الاستقامة على شرع الله والمثابرة الدائمة على العبادات المالية والبدنية والقلبية ومواصلة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والصبر على ما يعترض ذلك من أنواع الابتلاء وصنوف المحن لأن من ورث عن رسول اللهﷺ دعوته وجهاده لابد أن يصيبه ما أصاب رسول اللهﷺ من تكذيب ومحاربة وأذى قال تعالى حكاية عن لقمان يوصى ابنه:

(يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك).

وقد أقسم الله أن الناجين هم من تحققوا بصفات أربع: الإيمان والعمل الصالح والنصح للأمة ثم الصبر على ذلك فقال تعالى:

(والعصر* إن الإنسان لفي خسر* إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر).

والصبر على المعاصى هو مجاهدة النفس فى نزواتها ومحاربة انحرافها وتقويم اعوجاجها وقمع دوافع الشر والفساد التى يثيرها الشيطان فيها.

قال الله تعالى: (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) وكان من المفلحين (قد أفلح من تزكى* وذكر اسم ربه فصلى).

وأما الصبر على المصائب: بما أن الحياة الدنيا دار امتحان وابتلاء فإن الله تعالى يختبر إيمان عباده -وهو أعلم بهم- بأنواع المصائب ويمحص المؤمنين بصنوف المحن كى يميز الخبيث من الطيب والمؤمن من المنافق.

قال تعالى: (الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) سواء أكانت هذه المصائب فى المال أو فى البدن أو فى الأهل، قال تعالى: (لتبلون في أموالكم وأنفسكم).

وقال تعالى: (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين* الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون* أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة).

ولا شك أن المؤمن الصادق يتلقى هذه المصائب بالصبر والتسليم بل بالرضا والسرور لأنه يعلم أن هذه النكبات مانزلت عليه من خالقه إلا لتكفير ذنوبه ومحو سيئاته قال النبى ﷺ:

(ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه).

كما أنه يعلم أن هذه النوازل إنما ترفع المؤمنين الصابرين درجات عالية ومنازل رفيعة عند الله تعالى إذا هو تلقاها بالرضا والتسليم كما قال ﷺ (إذا سبقت للعبد من الله تعالى منزلة لم ينلها بعمله ابتلاه الله فى جسده وفى أهله وماله ثم صبره على ذلك حتى ينال المنزلة التى سبقت له من الله عز وجل).

والصبر نصف الإيمان وسر سعادة الإنسان ومصدر العافية عند البلاء وعدة المؤمن حين تدلهم الخطوب وتحدق الفتن وتتوالى المحن وهو سلاح السالك فى مجاهدته لنفسه وحملها على الإستقامة على شرع الله تعالى وتحصنها من الإنزلاق فى مهاوى الفساد والضلال.

ولعظيم أهميته ورفيع درجاته ومقامه ذكره الله تعالى فى القرآن الكريم نحو تسعين موضعا.

فتارة يأمر الله تعالى به فيقول: (استعينوا بالصبر والصلاة) وفى موطن آخر يثنى على أهله فيقول (والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون).

وفى بعض الآيات يخبر عن محبته للصابرين فيقول سبحانه (والله يحب الصابرين).

وطورا يبين الله تعالى معيته للصابرين معية حفـــظ وتــأييد ونصر فيقول (إن الله مع الصابرين).

وفى موضع آخر يخبر عن إيجاب الجزاء لهم بغير حســاب فيقول سبحانه (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب).

وفى موطن آخر يبين الهداة المرشدين قد نالوا هـــذا المقــام الرفيع بالصبر فيقول (وجعلنا منهم أئمــــة يـهدون بأمرنــا لمــا صبروا).

ولقد جاءت الأحاديث النبوية الكثيرة مؤكدة فضل الصبر وماله من أثر عميق فى سعادة المؤمن وتلقيه صفات الحياة ونوائب الدهر.

كما تواردت الأخبار المستفيضة عن صبر رسول اللهﷺ وتحمله صنوف الأذى وأنواع الشدائد وحياة الرسول ﷺ كلها صبر وجهاد وتضحية.

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبىﷺ قال: (ما أعطى أحد من عطاء خيرا وأوسع من الصبر).

وعن صهيب بن سنان رضى الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ عجبا لأمر المؤمن أن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له).

وعن يحيى بن وثاب عن شيخ من أصحاب النبىﷺ قال: قال رسول اللهﷺ (المسلم الذى يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذى لايخالطهم ولا يصبر على أذاهم).

وعن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ (لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله عز وجل أنه ليشرك به ويجعل له الولد ويعافيهم ويرزقهم).

جزاك الله عنا يا رسول الله خير ما جزى به نبيا عن أمتــــه ورسولا عن قومه والحمد لله أولا واخيرا وصلى علـــى ســـيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المؤلف

عبد الحميد كشك

# الفهــــــرس

مقدمة .......................... ٥
التوبة والزهد .......................... ٦
شروط التوبــة .......................... ٢٣
أقسام العباد فى دوام التوبــة .............. ٢٤
فوائد التوبة كما قال ﷺ .................. ٢٦
علامة قبول التوبة .......................... ٣٨
طريق إلى الله .......................... ٤٣
تعريف الإخلاص .......................... ٥٨
أهمية الإخلاص فى الكتاب والسنة ............ ٥٩
أقوال العلماء فى أهمية الإخلاص ............ ٦١
مراتب الإخلاص .......................... ٦٢
الصبر .......................... ٦٦

رقـــم الايـــداع ٣٤٠٧ / ١٩٨٣

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977-136-010-3

مطابع المكتب المصرى الحديث
MODERN EGYPTIAN PRESS
ت ٤٤٤١٠٧٠ – ٤٤٤١٠٧٤ – فاكس ٤٤٤١٠٧٧